أسباب حفظ المال وزيادته

أسباب حفظ المال وزيادته

لقد خلق الله عزَّ وجلَّ الإنسان وبيَّن له طريق الخير وطريق الشر، ووضح له سبيل الشكر وسبيل الكفر كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [1]؛ وجعل الله تعالى للإنسان حرية الاختيار بين هذا الطريق أو ذاك؛ وجعل تعالى لكل اختيار نتائجه المترتبة عليه فإن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر، إن كان شكرًا فزيادة، وإن كان كفرًا فعذاب شديد؛ كما أخبر الله عزَّ وجلَّ بذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [2]، أي؛ لقد أعلمكم الله بوعده لكم أنكم إذا شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها، ولئن كفرتم النعمة وجحدتموها فإن عذابي شديد بسلب هذه النعمة عنكم وعقابي إياكم.

فقد جعل الله جلَّ جلاله لحفظ المال وزيادته أسباباً إذا عمل الإنسان بأحدها نتج عنها حفظ ماله أو زيادته بحسب نوع العمل ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [3]، لأنه أطاع الله ورسوله فاستحق أن يجازيه الله من جنس عمله.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٣) سورة النبأ، الآية: ٣٦.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من خارج يخرج - يعني من بيته - إلا بيده رايتان: راية بيد ملَك، وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله عزَّ وجلّ اتبعه الملَك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يُسخط الله اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته**»(١)؛ فبيد كل إنسان أن يختار الراية التي يكون تحتها، وبيده أيضًا أن يقلل من ذلك أو يكثر فكل شيء بحسابه.

وأسباب حفظ المال أو زيادته أو الأجر والثواب على إنفاقه كثيرة جدًا، وفيما يلي بعض منها:

١ - ذكر الله:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا رأى أحدكم من أخيه، أو من نفسه، أو من ماله، ما يعجبه فليُبرِّكه، فإن العين حق**»(٣)؛ وقوله: فليبركه، أي؛ يقول: اللهم بارك فيه، ووردت أحاديث أخرى يجمعها قول الله عزَّ وجلّ: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

فقد سن الإسلام لمن رأى من ماله ما يعجبه سواء من ناحية الكثرة أو الجودة أو الجمال ونحو ذلك أن يدعو الله عزَّ وجلّ أن يبارك له فيه، وأن يذكر

(١) مسند أحمد، رقم: ٨٢٦٩، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٩.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٥٦٤٠، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

الله تعالى بقول: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله»؛ وذلك من أجل أن لا يصاب بالعين لأن العين حق، ولا شبهة في تأثيرها في الأجسام البشرية فضلاً عن الأموال، وهي تنشأ عن حالة نفسية معجبة جدًا بشيء ما فتنهكه بتقدير الله تعالى وابتلاء منه للعباد ليتميز المحق من غيره. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى من أجل أن يحفظ الله جلّ جلاله هذا المال وأن يبارك فيه بأنواع البركة التي يستحقها صاحب المال.

فقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ استسلام وتفويض، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن ما اجتمع عنده من المال فهو بقدرة الله جلّ جلاله وقوته لا بقدرة العبد وقوته، ولو شاء الله لنـزع البركة منه فلم يجتمع، فالعبد لا يملك من أمره شيئًا وليس له حيلة في دفع شر، ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى. وقد قال النبي ﷺ: «**ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله**»[1]. وقد كان النبي ﷺ نفسه يذكر الله، ويتعوذ به من سوء المنقلب في المال وذلك كلما خرج في سفر وكلما عاد من السفر، قال ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب: لا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب: استحباب الذكر إذا ركب دابته متوجهًا لسفر.

٢ - الإنفاق في سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)].

يضرب الله جلّ جلاله مثل الذي ينفق نفقة في سبيل الله كمثل الزارع الذي يزرع في الأرض حبة فتنبت الحبة سبع سنابل في كل واحدة منها مئة حبة؛ فيكون نتاج الحبة الواحدة سبعمئة حبة، والله يضاعف لمن يشاء؛ فكذلك الدرهم في سبيل الله يصبح سبعمئة درهم، فالمنفق في سبيل الله إذا كان صالحًا والمال طيبًا ويضعه موضعه يُنمِّيه الله عزَّ وجلَّ حتى يصير ثوابه إلى سبعمئة ضعف أو أكثر.

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[(٢)]؛ وفي هذه الآية يحث الله عزَّ وجلَّ على الإنفاق في سبيل الله وسماه قرضًا تأكيدًا على الرد، وإنه تعالى يرد القرض لصاحبه أضعافًا كثيرة، والكثير من الله لا يحصى، وإن الله يقبض ويبسط فأنفقوا ولا تبالوا لأن الله هو الرزاق، يضيِّق على من يشاء من عباده في الرزق، ويوسعه على آخرين له الحكمة البالغة في ذلك، وإليه ترجعون يوم القيامة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

وسبل الله التي يمكن للمؤمن أن ينفق ماله فيها كثيرة وأعظمها الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام، وعن ابن عباس: الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمئة ضعف.

٣ - الزكاة والصدقة:

قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[(١)]، وأتى رجل من بني تميم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تُخرج الزكاة من مالك فإنها طُهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق السائل والجار والمسكين**»[(٢)].

لقد فرض الله تعالى على الأموال صدقة معينة هي الزكاة المفروضة، أو غير معينة وهي صدقة التطوع؛ وذلك لتطهير أصحابها من دنس البخل والطمع والدناءة والقسوة على الفقراء والبائسين، وما يتصل بذلك من الرذائل، وتزكية أنفسهم بها ورفعها بالخيرات والبركات حتى ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة. فمن أوصاف المتقين الذين هم في الآخرة في جنات وعيون أنهم كانوا قبل ذلك محسنين، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٢٣٣٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

فالزكاة اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء. وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة، وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات، فإنها مأخوذة من الزكاة، وهو النماء والطهارة والبركة، والزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة.

قال رسول الله ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فَلُوَّه أو فَصيله**»[1]؛ فالله تبارك وتعالى ينمي الصدقة ويربيها لصاحبها حتى إن التمرة تصبح أكبر من الجبل مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾[2].

بل لقد أقسم النبي ﷺ على أن مال العبد لا ينقص من صدقة تصدق بها منه، بل يبارك له فيه بما يجبر نقصه الحسي؛ فقال ﷺ: «**ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه... ما نقص مال عبد من صدقة**»[3]، بل الصدقة تزيد المال وذلك بالبركة فيه، ودفع المفسدات عنه، والإخلاف عليه بما هو أكثر وأطيب وأنفع؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[4]، أي؛ مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم الله به وأباحه لكم

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٤.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالثواب فهو خير الرازقين كما أخبر النبي ﷺ عن ربه: «**يا ابن آدم أَنفِق أُنفق عليك**»[1]، وكما في دعاء الملَكَين، قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينـــزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[2]؛ وهذا يحتمل أن يكون الخلف في المال نفسه بتيسير أسباب زيادته عن طريق التوفيق في العمل والتجارة ونحو ذلك، والإخلاف في الآخرة بإجزال الأجر وتضعيف الثواب. وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾[3]، أي؛ إن من يزكي ويتصدق يريد بذلك مرضات الله يضاعف الله له الخير والنعيم، والثواب والجزاء. قال البيهقي رحمه الله: استنـــزلوا الرزق بالصدقة.

وإضافة إلى هذه الفائدة المادية للصدقة فإن لها فائدة أخرى أعظم من المال وهي إطفاء الخطيئة التي لا يكاد يسلم منها إنسان، فإذا كانت الخطيئة متعلقة بحق الله تعالى فإن الصدقة تذهبها وتمحو أثرها، وإذا كانت من حقوق العباد فتدفع تلك الحسنة إلى خصمه عوضًا عن مظلمته؛ قال النبي ﷺ: «**والصدقة تطفئ**

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى* وصدق بالحسنى﴾.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٩.

الخطيئة، كما يطفئ الماء النار»[1]. وعندما يأتي الموت إلى إنسان ما فإنه يطلب تأخير موته وذلك لأجل أن يفعل شيئًا واحدًا هو التصدق، مع أن الفرصة كانت متاحة أمامه طوال حياته وعمره لكي يتصدق ولكنه لم يفعل؛ قال الله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾[2]، قال النبي ﷺ: «**يقول ابن آدم: مالي مالي؛ وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**»[3]، أي؛ هل يحصل لك من المال وينفعك في المال إلا ما تصدقت فأمضيته وأبقيته لنفسك يوم الجزاء.

وقد أخبر النبي ﷺ أن أفضل المنازل عند الله تعالى: صاحب العلم والمال الحلال الذي يعلم أن لله حقًا في علمه وماله كالزكاة والصدقة ونحو ذلك من الحقوق المتعلقة بالله وبعباده فيتقي ربه فيه بالإنفاق منه، ويصل به رحمه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي ربه فيه ويصل به رحمه، ويعلم لله فيه حقًا فهذا أفضل المنازل**»[4].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢١١٠.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١٠-١١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٤.

٤ - فعل الحسنات:

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة**»[١]، وفي رواية أخرى: «**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعَم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها**»[٢].

ما من حسنة يفعلها المؤمن إلا ويعطيه الله عزَّ وجلَّ عليها في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا: بتوسعة رزقه أو سوق رزق جديد إليه، وفي الآخرة: برفع درجاته في الجنة. قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[٣]، وقال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عزَّ وجلَّ، قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة**»[٤].

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٢٢٠٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب: جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا.

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من همَّ بحسنة أو سيئة.

ذلك لأن نفع الحسنة إنما يعود على من يعملها، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾(٢)؛ ولا يترك الله جلَّ جلاله مجازاة المؤمن بشيء من حسناته، بل ربما يجازيه أيضًا في الدنيا بدفع بلاء أو نصر على عدو أو غير ذلك إضافة إلى الرزق. على عكس الكافر الذي إذا عمل حسنة كأن أنقذ أحدًا من الموت أو فك أسيرًا أو وصل رحمًا أو تصدق أو غير ذلك من أعمال الخير، فإن الله البَرُّ الكريم يجازيه فيُطعَم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا فقط، بنحو توسعة لرزقه أو دفع مصيبة أو نصر على عدو أو غير ذلك؛ ويستوفي أجر حسناته بكمالها في الدنيا حتى لا يكون له نصيب في الآخرة، فإذا صار إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرًا.

وقال النبي ﷺ: «**إن الكافر إذا عمل حسنة أُطعِمَ بها طُعمَةً من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يَدَّخِرُ له حسناته في الآخرة، ويُعقِبُهُ رزقًا في الدنيا**»(٣). قال النووي: أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربًا إلى الله تعالى، وصرح في هذا الحديث بأن يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي؛ بما فعله متقربًا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب: جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا.

وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة ويجزى بها مع ذلك أيضًا في الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده... وأما إذا فعل الكافر مثل هذه الحسنات ثم أسلم فإنه يثاب عليها في الآخرة على المذهب الصحيح[1]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق.

والحسنة بصفة عامة: كتلاوة القرآن الكريم بتدبر، والذكر الذي يتواطأ فيه القلب مع اللسان والدعاء، ومذاكرة العلم النافع، وقيام الليل وهو وإن كان يندرج تحت الصلاة إلا أنه يجب التنبيه عليه لأهميته، وقس على ذلك باقي أعمال البر وفعل الحسنات التي تشرح الصدر.

٥ - صلة الرحم:

قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يُبسَط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليَصل رحمه**»[2].

لقد أمر الإسلام بصلة الرحم، ومما رتب على وصلها البسط في الرزق، فمن أحب أن يُبسط له في رزقه فليصل رحمه، ومعنى البسط في الرزق البركة فيه؛ فصلة الأقارب صدقة والصدقة تربي المال وتزيد فيه فينمو بها ويزكو.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، ص: ١٥٠/١٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

وقال النبي ﷺ: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**»[1]، ومعنى قوله: «**منسأة في الأثر**» يعني به: الزيادة في العمر. فالنبي ﷺ يدعو إلى معرفة الأقارب من ذوي الأرحام حتى يمكن وصل رحمهم بالتقرب إليهم والشفقة عليهم والإحسان إليهم؛ ومن المنافع التي جعلها الله تعود على واصل الرحم الثراء في المال، فكما جعل الله عزَّ وجلَّ صلة الرحم سبباً لزيادة العمر فإنه جلَّ جلاله جعلها أيضًا سبباً لزيادة المال وكثرته.

وقد تقدم حديث النبي ﷺ أن أفضل المنازل عند الله تعالى: صاحب المال الحلال الذي يعلم أن لله حقًا في ماله فيصل به رحمه؛ قال ﷺ: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي ربه فيه ويصل به رحمه، ويعلم لله فيه حقًا فهذا أفضل المنازل**»[2].

٦ - المجاهدة بالمال والنفس:

لقد خلق الله جلَّ جلاله الإنسان ويعلم أن المال شيء عزيز على قلب هذا المخلوق الذي هو على استعداد دائم طوال عمره لممارسة أي عمل يجلب له المال، ومن ذلك التجارة؛ فدل الله المؤمنين على تجارة مضمونة الربح في الدنيا والآخرة، وهي خير التجارة؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦١٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٤.

مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[(١)].

فالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس هي التجارة المضمونة الربح، وإذا أخبرنا خالقنا تبارك وتعالى أن الجهاد خير لنا فيجب علينا أن نؤمن بذلك أشد الإيمان، فالجهاد سبب للفوز بأشياء عظيمة في الدنيا والآخرة، وقد أخبرنا الله جلّ جلاله بأنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وبشّرنا بهذا البيع الذي هو خير البيع والتجارة الرابحة مع الله فقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[(٣)]، أي؛ إذا

---

(١) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤١.

جاهدتم بأموالكم فأنفقتم بعض المال على الجهاد فذلك خير لكم في الدنيا والآخرة؛ لأن الله تعالى يغنمكم أموال عدوكم فيعوضكم أضعاف ما أنفقتم وبذلك تكسبون من المال في الدنيا أكثر مما تنفقون، فضلاً عما تنالونه من أجر جزيل؛ وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «**تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة**»[1].

فقد تكفل الله للمجاهد الحق بربح مضمون في جميع الحالات، وإذا تكفل الله بشيء فهو حاصل لا محالة؛ ففي حال استشهاد المجاهد فالله عزَّ وجلَّ تكفل له بالجنة، وفي حال بقاء المجاهد على قيد الحياة تكفل الله تعالى له بإرجاعه إلى بيته مع أجر لا يعلم مقداره إلا الله تعالى إذا لم يغنم، أو مع أجر وغنيمة إذا غنم؛ وقد تكون غنيمته أضعاف ما أنفقه في سبيل الله تعالى.

لقد قرن الله عزَّ وجلَّ بين الأموال والأنفس في كثير من الآيات التي تدعو إلى الجهاد؛ وقد فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين، فقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الجهاد والخروج في سبيل الله تعالى.

وَمَغۡفِرَةً وَرَحۡمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ [(١)]؛ فأخبر عزَّ وجلَّ بما فضَّل المجاهدين من الدرجات العاليات، ومغفرة الذنوب والزلات، والرحمة والبركات؛ كما أخبر النبي ﷺ: «**إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»[(٢)].

وسبب تفضيل المجاهدين على القاعدين يعود إلى فضل الجهاد في سبيل الله؛ فالجهاد لا يعدله شيء من الطاعات، وقد «قيل للنبي ﷺ ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: «**لا تستطيعونه**»، قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: «**لا تستطيعونه**»، وقال في الثالثة: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى**»[(٣)]. وفي هذا الحديث عظيم فضل الجهاد، لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال، وقد جعل المجاهد مثل من لا يفتر عن ذلك في لحظة من اللحظات، ومعلوم أن هذا لا يقدر عليه أحد ولهذا قال ﷺ: «**لا تستطيعونه**». فالجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك.

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٩٥-٩٦.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: الشهادة في سبيل الله تعالى.

كما أن الذي يخرج للجهاد في سبيل الله لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى فهذا من أفضل الناس، فقد «قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: **«مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»**»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: **«ما اغبرَّتا قدما عبد في سبيل الله فتمسَّه النار»**[2]، وقال ﷺ: **«رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والرَّوحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغَدْوة خير من الدنيا وما عليها»**[3].

فمن أجل ذلك فضَّل الله المجاهدين على القاعدين؛ ومع ذلك فقد منَّ الله على المؤمن بأن ترك له حرية الاختيار في الجهاد في سبيل الله في غير الحالات التي يتعين فيها الجهاد بالنفس على الشخص نفسه؛ فإما أن يجاهد بماله ونفسه، وإما أن يجاهد بإحداهما: المال أو النفس. ومن رحمة الله وفضله وكرمه أنه سبحانه وتعالى جعل لمن اختار الجهاد بالمال فقط أجرًا كالمجاهد بنفسه؛ لأن فضل الجهاد في سبيل الله لا يقتصر على من يخرج بنفسه مجاهدًا وغازيًا، بل إن من جهز غازيًا وهيأ له أسباب سفره فقد غزا، ومن خلف الغازي في أهله بخير من قضاء حاجة لهم وإنفاق عليهم أو مساعدتهم في أمرهم فقد غزا؛ قال رسول الله ﷺ: **«من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في سبيل الله بخير فقد**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: من اغبرت قدماه في سبيل الله.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: فضل رباط يوم في سبيل الله.

غزا»[1]، فمن فعل ذلك فهو مثل الغازي في الأجر وإن لم يغز حقيقة، قال ﷺ: «**من جهز غازيًا في سبيل الله، كان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الغازي شيئًا**»[2].

٧ - المتابعة بين الحج والعمرة:

قال رسول الله ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»[3]، وفي رواية أخرى: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة بينهما تزيد في العمر والرزق وتنفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد**»[4].

حث النبي ﷺ المؤمنين بأن يتابعوا بين الحج والعمرة، ففضلاً عما فيهما من الأجر العظيم والثواب الجزيل فإنهما يزيلان الفقر ويزيدان في الرزق كما تزيد الصدقة المال، ويزيلان الذنوب كما تزيل النار خبث الحديد، وفوق كل هذا فإن الحجة المقبولة ليس لها جزاء إلا الجنة. وقد أمر الله تعالى بالحج والعمرة فقال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٢٢٩.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٦٥٠.

(٤) مسند أحمد، رقم: ١٥٦٣٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[1]؛ وأكد النبي ﷺ على أن الحج إذا خلا من الرفث والفسق فإنه يزيل الذنوب كلها ويصير العبد كما يكون الطفل حين يولد، فقال ﷺ: «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»[2]؛ وكذلك أكد النبي ﷺ على أن العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما؛ فقال عليه الصلاة والسلام: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[3].

إن النبي ﷺ حين يؤكد على أن الحج والعمرة يزيلان الذنوب والفقر، ويزيدان في الرزق فإنه لا ينطق عن الهوى أو من عند نفسه، وإنما يقول ما أمره به رب العالمين جلَّ جلاله، الذي أرسله رحمة للعالمين ورسولاً إلى الناس أجمعين ليبلغهم رسالة الله تبارك وتعالى، وليدلهم على كل ما فيه خير لهم في دنياهم وآخرتهم، وليحذرهم من كل ما فيه شر لهم في دنياهم وآخرتهم؛ وقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[4].

وعن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر، يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكتُ عن الكتاب،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: فضل الحج المبرور.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب: العمرة. وجوب العمرة وفضلها.

(٤) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق**»[1]؛ فما يخبرنا به رسول الله ﷺ فهو وحي من الله تعالى الذي بيده الرزق، وهو الذي جعل الحج والعمرة يزيلان الفقر ويزيدان الرزق؛ فبيده الأمر كله تبارك الله رب العالمين.

٨ - العمل بالحلال:

لقد حث الإسلام على العمل وأمر أن يكون العمل في شيء حلال طيب مقبول لأجل تحصيل منافعه التي جعلها الله ثمار الحلال، ومنها حفظ المال والبركة فيه وزيادته، ونهى عن كل عمل حرام أو فيه شيء من الإثم لأجل اجتناب النتائج السيئة التي رتبها الله على الحرام ومنها خسارة المال بعضه أو جميعه، وهذا في الدنيا فقط، أما في الآخرة فالعقاب أعظم من ذلك وأشد وهو عذاب النار وبئس المصير. ولأجل ذلك أمر رسول الله ﷺ الناس بأن يحرصوا على أخذ الحلال وترك الحرام فقال ﷺ: «**أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حَرُمَ**»[2]. وقد قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال: «**عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور**»[3]، أي؛ كل بيع مقبول حلال لا يخالطه شيء من الإثم.

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٦٥١٠، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٤٣.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٧١٩٨، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

فإذا اشتغل الإنسان في عمل حلال سواء كان وظيفة أو تجارة أو بيعًا فعليه أن يلتزم بعدة شروط كفيلة بحفظ ماله بل وزيادته؛ ومن هذه الشروط:

- إخلاص النية لله في العمل: إن أول شرط مهم لينفع الإنسان نفسه في الدنيا والآخرة، ولكي ينجح ويوفق في عمله أن يخلص فيه النية لله تعالى؛ وكل عمل يخلص فيه الإنسانَ نيته لله تعالى يكون له فيه أجر، حتى في عضو الرجل، فقد قال رسول الله ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[١]، وكذلك كل عمل حلال إذا نوى الرجل أنه يعمله لأجل أن يجني منه مالاً يصرفه على نفسه وعلى من يعول حتى لا يضطر إلى سؤال الناس، وحتى يتقوى به على طاعة الله ويحقق به أغراضًا شرعية يحبها الله ويرضاها فإن له فيه أجر؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك؛ أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**»[٢]، ومن شرط العمل الحلال أن لا يعتقد أن الرزق من الكسب بل من الله تعالى بهذه الواسطة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: كل نوع من المعروف صدقة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: الابتداء في النفقة بالنفس ثم الأهل ثم الأقارب.

- الأمانة في العمل: إن من أهم شروط الاستمرار في العمل، وبالتالي استمرار الرزق الذي يأتي منه: الأمانة في العمل؛ فدون الأمانة لا يمكن للإنسان أن يستمر في عمله وينجح فيه؛ فكل عامل يجب أن يكون أمينًا على مصالح ومال من يستخدمه؛ قال رسول الله ﷺ: «**والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته**»[١]؛ فالراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه، فمن الأمانة أن لا يستخدم ما تحت يده من أشياء تخص العمل في أغراضه الشخصية إلا بعد استئذان صاحب العمل، ويكون الأمر أشد فيما لو كان العامل موظفًا لدى الدولة؛ لأن ما تحت يده من أشياء هي أموال عامة تخص بيت مال المسلمين ولا يجوز التصرف فيها.

ولا يخفى ما في الأمانة من فوائد للشخص نفسه؛ فعدا استمراره في العمل فإن أمانته مدعاة لزيادة أجره، ورفع مرتبته، وزيادة الثقة فيه، لأن الجزاء من جنس العمل، ولا يكون جزاء الأمانة إلا طيبًا.

- إتقان العمل: ومن الأشياء المهمة التي حض عليها الإسلام في العمل لكي يُكتب له النجاح: الإتقان؛ وهو أمر ضروري لنجاح أي عمل بعد إخلاص النية لله تعالى، وقد بيَّن الإسلام أن الإتقان في العمل هو مما يحبه الله تعالى إذ قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب: العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٨٠.

وإتقان العمل هو إحكام العمل وإجادته على الوجه الأفضل، وهو مطلوب في كل عمل يقوم به الإنسان سواء كان دينيًا أو دنيويًا؛ فإذا كان يعمل -مثلاً- في مهنة فعليه أن يتقنها، وأن يحسن استخدام ما يلزمه في عمله من آلات ومعدات وسيارات وغيرها، وأن يعمل بما علمه الله عمل إتقان وإحسان بقصد نفع خلق الله الذي استعمله في ذلك، ولا يعمل بنية أنه إن لم يعمل ضاع، ولا على مقدار الأجرة، بل على حسب إتقان ما تقتضيه الصنعة.

- حقوق على صاحب العمل: إذا كان الإنسان صاحب عمل كأن يملك مؤسسة أو مصنعًا أو محلاً تجاريًا وغير ذلك، فإن عليه حقوقًا وواجبات أخرى تجاه من يعمل لديه من العاملين، ولا شك أنه إذا أدَّى ما عليه من الحقوق والواجبات فإن مردود ذلك سيكون عليه من زيادة في الرزق والبركة فيه وسيكون التوفيق والنجاح حليفه، ومن هذه الحقوق:

أ- *إعانة العمال على العبادة*: فمن الواجب على صاحب العمل أن يعين عماله على طاعة الله بأداء الصلاة في أوقاتها، بل من الواجب عليه أن يدعو إلى الصلاة من لا يصلي من عماله وبذلك يكون مأجورًا عند الله تعالى وجامعًا بين عمل الدنيا وعمل الآخرة فيكون فعله سببًا في زيادة رزقه وبعده عن الخسارة.

وأعرف صاحب مؤسسة كانت عادته كلما سمع الأذان أنه يخرج للصلاة وينادي موظفيه لكي يلحقوا به إلى المسجد، فكان هؤلاء الموظفين يحبون صاحب المؤسسة ويعملون بها كما لو كانت مؤسستهم. فأثر الصلاة لا بد

أن يعود على المصلي وبالتالي يعود على المؤسسة أو المصنع أو المحل... من ناحية الإخلاص، والصدق في العمل، وتحمل المسؤولية، والأمانة، وزيادة الإنتاج وبالتالي زيادة الربح والمال.

ب- *دفع الحقوق*: فالإسلام قد حض على دفع أجور العمال أو الموظفين بمجرد استحقاقها وعدم المماطلة والتسويف في ذلك؛ قال رسول الله ﷺ: «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**»[1]. فإذا دفع صاحب العمل أجور عماله في مواعيدها المحددة فمما لا شك فيه أن العمال سيحبون صاحب العمل والعمل الذي يقومون به عنده، وبالتالي يزيد إنتاجهم الذي يعني زيادة في أرباح صاحب العمل، ولم يكن ذلك إلا بسبب التزام صاحب العمل بهذا الحق الذي عليه تجاه من يعمل لديه. وليحذر صاحب العمل أن يأكل حقوق أحد من عماله أو موظفيه، وإلا سيكون الله خصمه يوم القيامة كما أخبر النبي ﷺ: «**قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة:... ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره**»[2].

- <u>الصدق في البيع</u>: إن الصدق عامل مهم لنجاح أي عمل ومن ذلك: البيع؛ فالصدق في البيع لا يأتي إلا بالخير للبائع من زيادة زبائنه وبالتالي زيادة ربحه وماله فضلاً عن البركة التي يجعلها الله في بيعه جزاء صدقه؛ وقد أخبر النبي ﷺ

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٩٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: إثم من باع حرًا.

بذلك فقال: «**البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا؛ فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحِقت بركة بيعهما**»[1].

- <u>السماحة في التجارة والبيع</u>: لقد حض الإسلام على السماحة في المعاملات التي بين الناس، وجعل الرجل السمح محبوبًا إلى الله تعالى، وهذا أعظم من مال الدنيا جميعًا. والسماحة هي السهولة والجودة، وهي من الإيمان؛ قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان: الصبر والسماحة**»[2]. فإذا كان الإنسان صاحب تجارة وبيع وشراء فلا بد أن يكون سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا طالب بحقه وما له على الناس من حقوق مالية، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب سَمْحَ البيع، سَمْحَ الشراء، سَمْحَ القضاء**»[3].

فسَمْحُ البيع والشراء هو الذي يكون سهلاً جوادًا إذا باع وإذا اشترى، ويتجاوز عن بعض حقه إذا باع، وسَمْحُ القضاء هو الذي يطلب حقه بسهولة ورفق ولين جانب وعدم إلحاح أو إضرار، وإذا طلب دينًا له على غريم يطلبه بالرفق واللطف لا بالخرق والعنف، أو يعطي الذي عليه بسهولة بغير مماطلة أو تسويف. وقد رتب المحبة عليه ليدل على أن السهولة والتسامح في التعامل سبب لاستحقاق المحبة ولكونه أهلاً للرحمة وزيادة الرزق والمال، وإنما يحب الله الرجل السمح لشرف نفسه وحسن خُلُقه بما ظهر من قطع علاقة قلبه بالمال،

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا».

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٧٩٥.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٠٦٤.

الذي هو معنى الدنيا، وإفضاله على عباد الله ونفعه لهم فلذلك استوجب محبة الله تعالى، ومن يستوجب محبة الله فإنه يكون أهلاً للتوفيق والنجاح في عمله وبالتالي حفظ ماله وزيادته والبركة فيه.

- الإكثار من الصدقة: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر التجار، إن البيع يحضره اللغو والحَلف فشوبوه بالصدقة**»[1]؛ فقد بيَّن النبي ﷺ أن البائع قد يتكلم في البيع كلامًا لا يعنيه، وكلامًا لا ينفعه في دينه ودنياه، وقد يحلف كذبًا أو يكثر من الحلف ولو كان صدقًا؛ فأمره النبي ﷺ بأن يخلط ذلك بالصدقة لأنها تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، فإذا أطاع أمر الرسول ﷺ وأكثر من التصدق فإن الله عزَّ وجلَّ يخلفه ويرزقه أضعاف ما تصدق به.

- تجنب الأمور المحرمة: لقد حرَّم الإسلام أمورًا وتعاملات معينة ونهى الناس عنها، فإذا تجنبها الإنسان فإنه بذلك يبعد عنه نتائجها السيئة، ويقرب منه النتائج الحسنة لتجنبها؛ فمن كان حريصًا على أن يبارك الله في رزقه وماله وأن يزيده من فضله فيجب عليه أن يتجنب هذه الأمور والمعاملات؛ ومنها: الربا، الرشوة، كثرة الحلف في البيع، التطفيف في الوزن، الغش والكذب في البيع.

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٨٤٥.

٩ - التبكير في طلب الرزق:

عن صخر الغامدي، عن النبي ﷺ قال: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» وكان إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم من أول النهار، وكان صخر رجلاً تاجرًا، وكان يبعث تجارته من أول النهار ، فأثرى وكثر ماله[1].

إن النبي ﷺ قد دعا الله عزَّ وجلّ بأن يبارك لأمته في بكورها، وهو الوقت الذي يكون في أول النهار بعد صلاة الفجر، ودعاء النبي ﷺ مستجاب، ومن تعود على بدء عمله ونشاطه في هذا الوقت المبكر في أول النهار يلمس بوضوح أن هذا الوقت لا يماثله أي وقت آخر في بقية النهار، وذلك في كل شيء حتى في صفاء الهواء.

وقد جعل الله تعالى لهذا الوقت المبكر بركة في الرزق حتى إن بعض السلف كان إذا رأى أحدًا من أولاده نائمًا في هذه الوقت نهره وقال له: أتنام في هذا الوقت الذي تُقسم فيه الأرزاق؟!.

١٠ - عدم التلهي بالمال والعمل عن العبادات:

قال الله عزَّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[2]؛ يأمر الله جلّ جلاله المؤمنين بالسعي إلى ذكر الله وترك البيع إذا نادى المؤذن لصلاة

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٢٧٠.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٩.

الجمعة، وأن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة إن كانوا يعلمون. فإن كان الخير في الآخرة هو الجنة، فالخير في الدنيا ليس إلا زيادة في الرزق والمال، والصحة والعافية.

وقد مدح الله عزَّ وجلَّ الذين لا تلهيهم تجارتهم وبيعهم عن عبادته فقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[(١)]؛ وخص الله تعالى التجارة والبيع بالذكر؛ لأنها أعظم ما يشتغل بها الإنسان عن العبادات وأهمها الصلاة من أجل جني أكبر قدر من المال؛ ولهذا نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله والصلاة؛ وهددهم وتوعدهم بأن من تشغلهم أموالهم أو أولادهم عن ذكره تعالى فإنهم هم الخاسرون في الدنيا والآخرة. فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[(٢)]؛ ولهذا فإن أهل طاعة الله يتاجرون ويبايعون، ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله فاستحقوا مدح الله لهم على ذلك.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٩.

قال رسول الله ﷺ: «**من جعل الهموم همًّا واحدًا، همَّ المعاد، كفاه الله هم دنياه**»[1]. لقد كان المسلمون الأوائل يتركون ما بأيديهم فور سماعهم الأذان ويتوجهون إلى المساجد للصلاة فكانوا مرتاحي البال، مطمئني القلوب؛ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2]، أحسنوا أعمالهم ووفقوا بينها وبين العبادات ومواقيت الصلاة فعاشوا حياة طيبة، ورزقهم الله رزقًا واسعًا، قال ﷺ: «**من كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[3]. وكان رسول الله ﷺ قدوتهم في ذلك حيث كان ﷺ يخدم أهله فإذا سمع الأذان ترك ما بيده وخرج إلى الصلاة. وقد سئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت؟ فقالت: «**كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج**»[4]. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**يقول الله سبحانه: يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنىً، وأسُدَّ فقرك**»[5].

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب: خدمة الرجل في أهله.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٥.

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]، أي؛ إذا أقمت الصلاة وأمرت أهلك بإقامتها والمحافظة عليها أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، ولا نكلفك طلب الرزق فنحن نرزقك، وحسن العاقبة وهي الجنة لمن اتقى الله تعالى.

١١ - الشكر لله على النعمة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[3].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم، ومن رزقه الحلال الطيب، وأن يشكروه تعالى على ذلك فإنه المنعم المتفضل به ابتداء الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له. والرزق والمال نعمة كبيرة من الله تعالى على الإنسان ودونها لا يستطيع العيش، وما دام الإنسان يحب دوام هذه النعمة بل وزيادتها؛ فيجب عليه أن يشكر الله عليها، وقد وعد الله عزَّ وجلَّ من شكره أن يزيده من

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ١١٤.

فضله، فقال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1]، أي؛ لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي.

فالآية نص في أن الشكر سبب للمزيد، وشكر الله على الشيء سبب للمزيد منه، ووعد الله حق ولن يخلف الله وعده، فالزيادة حاصلة لمن شكر الله حق شكره. والشكر في اللغة: الظهور. وهو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف. وفي عبارات العلماء معناه: الاجتهاد في بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية في السر والعلانية. وقيل غير ذلك. ويروى عن جعفر بن محمد بن علي ابن حسين بن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «اشْكرِ المنعِمَ عليك، وأنعِمْ على الشاكر لك، فإنه لا نفاد للنِّعَم إذا شُكِرت، ولا بقاء لها إذا كُفِرت، والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير».

ومن الشكر معرفة النعمة والتحدث بها، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[2]. ومن التحدث بالنعمة إظهارها للناس والله عزَّ وجلَّ يحب ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن يُرى أثر نعمته على عبده**»[3]، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً رث الثياب فقال له: «**هل لك من مال**»؟ فقال: من كل المال، قد أعطاني الله من الإبل والغنم، فقال ﷺ: «**فلْيُرَ عليك**»[4]، أي؛ فليُبْصَر

(١) سورة إبراهيم، الآية ٧.

(٢) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢٦٠.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٢.

وليَظْهَر. وقال ﷺ: «**إن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة، يحب أن يرى أثر النعمة عليه**»[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا آتاك الله مالاً فلْيُر عليك، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنًا، ولا يحب البؤس ولا التباؤس**»[2].

والله تبارك وتعالى يرضى الشكر ويحبه لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾[3]، وقد أمر الله عزَّ وجلَّ لقمان أن يشكر الله تعالى على ما آتاه ووهبه من الحكمة، وهي نعمة عظيمة خصصه الله بها عن غيره من أبناء جنسه وأهل زمانه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾[4]، ومدح الله تعالى رسوله إبراهيم عليه السلام بأنه شاكر لنعم الله عليه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ﴾[5].

ومن الشكر الاعتراف بالنعمة لله، والثناء عليه بها والإحسان إلى خلقه منها، واستعمالها في طاعة الله، وعدم استعمالها في معاصيه. وهذا بلا شك يوجب

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧١١.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٥٥.

(٣) سورة الزُمُر، الآية: ٧.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٥) سورة النحل، الآيتان: ١٢٠-١٢١.

حفظها على الشاكر والمزيد منها. فمن استغل ماله واستخدمه في طاعة الله عزَّوجلَّ كان ذلك شكرًا على نعمة المال، فكان ذلك سببًا في أن يديم الله عليه الرزق ويزيده منه، فالشكر ليس أن يقول الإنسان بلسانه: الحمد لله، الشكر لله. بل إن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عزَّوجلَّ. وقد وعد الله تعالى من يطيعه ويؤمن بالله ويعمل الصالحات بأن لهم رزقاً كريماً واسعاً، فضلاً عما لهم من مغفرة الله تعالى على ذنوبهم، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾(١).

وهذا رسول الله ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وجعله سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقوم في الصلاة حتى تتورم قدماه لأجل أن يشكر الله على نعمه عليه؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطَّر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(٢). فالحديث يبين أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان كما قال الله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾(٣)، أي؛ اعملوا عملاً هو الشكر على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا. وكأن الصلاة والصيام والعبادات كلها هي في نفسها الشكر إذ سدَّت مسدَّه، فظاهر القرآن

(١) سورة الحج، الآية: ٥٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.

والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان.

إن الله جلّ جلاله أمر بأن يطلب الإنسان الرزق من الله ويعبده ويشكره، فقال تعالى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾[1]؛ وعندما يأمر الله عزَّ وجلَّ عباده المؤمنين بالشكر له فذلك ليس لأجله تعالى، فهو جلَّ شأنه وتقدست أسماؤه غني عن العالمين، وغني عن شكر الناس أجمعين، وليس بحاجة إلى أحد من خلقه، بل كل مخلوق بحاجة إليه، فالشكر إنما هو لمصلحة العبد؛ لأن نفع الشكر وثوابه يعود على الشاكر نفسه في الدنيا والآخرة، ولهذا يرضى الله لعباده الشكر حتى ينفعوا أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾[3]؛ ولو كفر الناس جميعًا و لم يشكروا فإن الله تعالى لا يتضرر بذلك فإنه الغني عمن سواه.

وقد يرزق الله عبدًا بأموال طائلة ونعم كثيرة اختبارًا له أيشكر أم يكفر، ولهذا عندما وجد النبي سليمان عليه السلام أن الله قد أنعم عليه نعمًا كثيرة ومعجزات باهرة وكرامات عظيمة حكى الله عزَّ وجلَّ قول نبيه، فقال تعالى:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧.

﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾(١)، أي؛ يعود نفع الشكر وثوابه على الشاكر نفسه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾(٢)؛ ولقول النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنّ أمرَه كلُّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له...**»(٣). وقال الله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٤)، أي؛ وسيجزي الله الذين يطيعون الله فيما أمرهم به وينتهون عما نهاهم عنه، ويشكرون الله على ما أنعم عليهم من النعم والرزق والمال.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.